بين السلطنة وجمهورية قيرغستان

جولات ذهابًا وإيابًا سياحية لاكتشاف البلدان!

في منطقة وكان العمانية

يبدو أن جولات الذهاب والإياب لا تقتصر على مباريات كرة القدم والمواجهات والتنافس الحاد، فللسياحة كذلك نصيب من هذه الجولات، وليست آخرها جولات الذهاب والإياب بين السلطنة الحبيبة وجمهورية قيرغستان، التي خاض غمارها من السلطنة أحمد بن عبدالله الكلباني، ومن قيرغستان صديقه «الخان»، حيث جمعتهما أيام الدراسة الجامعية في اسكوتلاندا، الأيام التي جمعت كذلك طلابا من بلدان مختلفة فكانت فرصة لتبادل الثقافات والاطلاع على عادات الشعوب والأمم بل وحتى شد الرحال إلى بلدان وبلدان.

عامر بن عبدالله الانصاري

لنعد إلى جولات الذهاب والإياب، التي بدأها أحمد الكلباني في عام ٢٠١٥، واستغرقت رحلته في قيرغستان ٦ أيام بين أحضان طبيعة خضراء على امتداد الأفق، والهضاب المتفاوتة التي تنتهي بجبال شامخة يكسو قممها الجليد، سكن أحمد خلالها في بيت «الخان» حيث احتضنته الأسرة القيرغيزية كواحد من أفرادها، ليعود من هناك حاملا معه ذكريات كثيرة وصورا تعيد إليه ملف الذاكرة كلما حن إلى تلك الديار، ومعلومات وافية يسردها لكل من اراد أن يُتحف نفسه بعادات الشعوب.

وفي بادرة من أحمد الكلباني، لرد جميل صديقه «الخان»، دعاه إلى السلطنة ليقيم بين ربوعها وبين تضاريسها المختلفة، فلبى الدعوة بعد سنتين تقريبا، في أول فرصة سنحت له، فماذا وجد في عمان، وماذا تركه من انطباع؟

١٤ يوما

وصل «الخان» إلى مطار مسقط الدولي يوم الاثنين ٢٠١٧/٤/٤، ملبيا دعوة أحمد، في زيارة استغرقت ١٤ يوما، والفضول يجره إلى اكتشاب بلد لم يكن يسمع به أبدا قبل أن تجمعه بأحمد أيام الدراسة، والأسئلة تتوالى في ذهنه عن كثير من الأمور، فكيف سيتعامل معه الشعب، وما هو مستوى الأمان، وما هي التكاليف الاخرى، وغيرها الكثير.

محطات

أعد أحمد خطة محكمة، شابها بعض التعديلات الملحة، لخطة سير «الخان» خلال رحلته في السلطنة، آخذا في الاعتبار ارتفاع درجات الحرارة في شهر أبريل، الأمر غير المعتاد على «الخان» خصوصا في مثل هذا التوقيع، حيث تغطي الثلوج أجزاء كبيرة من بلده، ولكن لا بد من أن يمسه نوع من لفحات الحر، كجزء من أجزاء المناخ العام للسلطنة. قضى «الخان» الجزء الأكبر من أيام رحلته في محافظة مسقط، إلى جانب زيارات للولايات الأخرى والنيابات، وسجل خلال الرحلة اعجابه في كل بقعة زارها، وعدد الصور التي التقطها لا حصر لها.

مطرح

ليس بغريب أن تكون ولاية «مطرح»، وتحديدا سوقها وجهة أساسية ومحطة مهمة لرحلة «الخان»، وجد فيها الكثير من السياح، وعبق الماضي، وروائح زكية لم يكن يعرف مصدرها، ليتعرف على البخور لأول مرة، إضافة إلى التمعن بتفاصيل السقف والممرات والارضية، كما أثارته الشرايين والممرات الضيقة التي لا تخلو من المحلات التجارية، والحركة النشطة سواء أكانت من السياح، أو حتى الأهالي، أجواء استثنائية عاشها «الخان» وسط ضجيج السوق الذي ينبض بالحياة.

كما لم ينفك «الخان» من توجيه الأسئلة تلو الأخرى، عن كل جزء من مطرح، فهذه قلعة الجلالي، وهذه قلاع بعيدة متناثرة تعود لعقود مضت، وهذا المجمر وهو بناء حديث نوعا ما وأصبح معلما من معالم مطرح، وغيرها العديد.

وجد «الخان» بمسقط ما لم يجده في بلاده، فقد أعجب بالشوارع المحكمة الواسعة، والمعمار بمجلمه سواء أكان حديثا أو كان

بدية

أحمد الكلباني في قيرغستان

سوق مطرح

على الطراز العماني التقليدي، وانبهر بالتطور الكبير في النشاط التجاري المنعكس على المراكز التجارية التي تجمع التسوق والترفيه في آن واحد فالمطاعم كما وصفها عالمية، تجد مطاعم العالم وأكلات الشعوب في مدينة واحدة.

وتخللت زيارة «الخان» الجامع الأكبر، وكذلك المتحف الوطني، وقصر العلم. إضافة إلى جولات بحرية عبر «الجيتس كي»، ورملية عبر الدراجات رباعية العجلات في رمال بوشر.

نزوى

ومن المحطات التي توقف فيها «الخان» ولاية نزوى، فزار معالمها الشامخة المتعددة، ومن بينها قلعة نزوى ذات الشكل الدائري، وما زاد انبهاره بهذا الصرح الضخم والمتماسك، بل والقوي، أنه قد بني قبل أكثر من ٣٥٠ عاما وذلك في عام ١٦٥٠ ميلاديا، كما أسعده وجود المرشد السياحي داخل القلعة، والذي أجابه عن العديد من الاسئلة، مشيدا بوجود هذه الاهتمام بمثل هذه المواقع، ووجود المرشد السياحي الذي يجيد اللغة الانجليزية، فلم يجد حاجزا بينه وبين المعلومات التي توافدت عليه.

شعر «الخان» بالعجب، فرغم ارتفاع حرارة الجو في شهر أبريل، إلا أن القلعة ومن الداخل تحمي من تحتضنه من تلك الحرارة، فالحرارة معتدلة إلى حد بعيد، وذلك بشكل طبيعي بعيدا عن استخدام أجهزة التكييف، إضافة إلى التفاصيل العديدة التي حفرت في ذاكرته منها تفاصيل البهو والسقف العالي، وهذه التفاصيل لم يجدها في المملكة المتحدة حيث كانيدرس،وبحسب رأيه قلاع السلطنة مختلفة تماما، ولها طابع خاص وعبق يميزها عن غيرها. وله كذلك في سوق نزوى جولات ووقفات كثيرة وثقتها عيناه وعين الكاميرا.

قرية وكان

وفي يوم، وقبل أن يؤذن لصلاة الفجر، ملأنا السيارة بعبوات الماء والعصير، متجهين إلى قرية «وكان» مصطحبين معنا «الخان»، وكل همنا أن نتمكن من الوصول إلى القرية الجبلية قبيل شروق الشمس، حتى نشهد خطوات الشروق على تلك المدرجات الجبلية الممتلئة بمختلف أنواع المزروعات، وبعد مشوار قارب الساعتين من مسقط، وبين وعورة الطريق والصعود القاسي، وصلنا إلى و «كان»، ولكن كان للشمس أن تشرق قبل الوصول.

تفاجأ «الخان» بهذه القرية المنعزلة عن المدينة وعن الشارع العام، فبدت تظهر القرية بعد أن أوشك على فقدان الأمل في أن يجد شيئا جميلا بين تلك الأرض القاحلة!

كان من المثير للاهتمام عند «الخان» رؤية الناس وحياتهم في القرى النائية مثل قرية وكان، التي يعتمد سكانها على الزراعة كعمود فقري أساسي للرزق، وكيفية زراعة المدرجات هناك وجني المحاصيل، وفي قمة القرية، شعر «الخان» وكأنه محلق في السماء يشاهد قرية جبلية من أعالي القمم.

كهف الهوتة

كعادة أي سائح، تكون الكاميرات مهيئة لوضعية التصوير، إلا أن «الخان» تفاجأ بقرار منع التصوير في «كهف الهوتة»، وبذلك فاته الشيء الكثير ليوثقه، متأسفا على تلك الأوقات التي لم توثقها عدسة كامرته، والتي من المفترض أن تكون شاهدة وبوابة لملفات الذاكرة التي تبعثرها الايام والسنين.

إلا أن قرار منع التصوير لم يكون عائقا لاستمتاع «الخان» باللحظة التي عاشها هناك، فدرجات الحرارة تنخفض شيئا فشيئا دون تكييف، منبهرا بالطبيعة الجيولوجية التي أخذته بعيدا عن صخب المدن،الخفافيش، الأسماك العمياء، كل ذلك وأكثر منحته فرصة المكوث منعزلا عن الحياة الروتينية.

وادي شاب

وأما في وادي شاب بنيابة طيوي فأظن بأن

«الخان» لن ينسى الموقف الصعب الذي تعرض له، ومعه أحمد، وصديق آخر وهو قيصر العطابي، فقد جرتهم خطواتهم نحو الشلال، متجاوزين الدخول إلى الشلال لتستمر خطواتهم في المسير بين الكتل الصخرية لساعتين، دون ماء للشرب أو أحد يسألونه، وفعادوا أدراجهم وقد أرهقهم التعب، ولكن ذلك التعب بدأ بالتبدد ما إن وجدوا مدخل الشلال، حيث هناك جمع من الناس مستمتعين بين أحضان الجبال بروعة الشلال المتدفق.

فلماذا لا تكون هناك لوحات ارشادية، أو مرشدون سياحيون، أو حتى خدمات الشرب والاتصال في مثل تلك الأماكن الرائعة والمعزولة في آن واحد.

محاطات مختلفة

ومن الأماكن التي زارها الخان «الجبل الاخضر»، التي لم تختلف تفاصيلها عن «قرغيستان» كما يقول حيث الطبيعة الجبلية، شعر وكأنه في بلاده مع اختلافات في ملامح الناس واللغة وشيء من التفاصيل، وكان له نصيب من الابحار في الرمال الذهبية التي تغمر جزءًا كبيرًا من ولاية بدية، وكانت هي المرة الأولى التي يكون فيها بين رمال على مد البصر، حتى أشعة الشمس بدأت تجر أشعتها تدريجيا وتختفي خلف الهضاب، وتعرَّف «الخان» كذلك على هوية نجم، الموقع الذي وصفه الجميل والرائع والمختلف، ومواقع اخرى كثيرة.

انطباع

أحب «الخان» السلطنة كثيرا، فوجد فيها كل شيء تمناه وما لم يخطر في باله، بلد واحد يجمع التناقضات الكثيرة، تنوع كبير بين أحضان رقعة جغرافية، رمال على مد البصر وجدها في ولاية بدية، بحر لا ينهي أمده تغرب خلفه الشمس، وجبال صماء شاهقة يعيش في قمتها أناس مزارعون، جبال صماء حفرت وأصبحت مدرجات زراعية، أودية تتسال بين الجبال ومياه رقراقة تعيد الحياة البكر إلى الإنسان، والكثير غيرها.

وللناس في السلطنة حكاية اخرى، سيرويها «الخان» لأصدقائه وعائلته عند عودته إليهم، وصف الشعب العماني بالمضياف والكريم والخلوق، فرغم اختلاف الملامح واللغة والأزياء، إلا أن «الخان» لم يشعر بأنه في مكان غريب يصعب فيه التعامل مع الناس، استسهل التعامل مع الافراد وموظفي المقاهي والمطاعم، فالجميع يجيد اللغة الانجليزية، تمنى «الخان» أن يقيم أكثر بالسلطنة، ولسان حاله يقول «سأعود إلى السلطنة أكيد».

قلعة نزوى

بصمة

إلى جانب الصور الكثيرة التي ملأت بطاقة ذاكرة هاتف الخان، فقد أخذ «الخان» معه بعض الأشياء تربطه بالسلطنة، منها الدشداشة العمانية، وكذلك الكمة والمصر المرافقين لها، والعصى العمانية والحلوى ليذيقها أصدقاءه وأخوته، وبعضا من العطور العربية من سوق مطرح، والبخور والمجمر، وكذلك اللباس العماني النسائي هدية لوالدته.

المأكولات

أحب «الخان» المأكولات العمانية، ففي أول صباح له في السلطنة، أعدت والدة أحمد أصنافا متعددة للإفطار، لم تخلُ من خبز الرخال، والسيويه، أو كما يسميها البعض «بلاليط» من أسمائها الشعرية، وكذلك «الدنجو»، وغيرها من المأكولات التي تقترن بالشاي مع الحليب. استمتع الخان بالإفطار الخفيف والمغذي، وكذلك وجبات الغداء والعشاء العمانيين، إلا أنه لا يُطيق نكهات الفلفل، فكانت الملاحظة الوحدية بالنسبة للمأكولات متوسطة الحرارة.

وأما الحلوى العمانية والقهوة، فوصفها بالمأكولات الرفيعة والفخمة، وبمجمل الحال استمتع «الخان» بالمأكولات سواء أكانت من المطبخ العماني، أو من المطابخ العالمية الموجودة في عمان.

رسالة

غادر «الخان» من مسقط إلى اسكوتلندا لاستكمال ما تبقى له من أيام الدراسة الجامعية القليلة، تاركا وراءه سيلا من الذكريات بقية في ذاكرته وذاكرة أصدقائه الذي كانوا له أخوة وأهلا، وقد حمل الخان رسالة، قال فيها: «أشكر أحمد الكلباني وعائلته على الترحيب والضيافة والاستقبال، وأشكر أصدقاءه الذين أصبحوا أصدقائي، لقد كنتم فعلا معي دائما ولم أشعر أبدا بأنني غريب أبدا، كما كنتم خير مرشدين سياحيين».

انتهت رسالة «الخان»، وانتهت رحلته، حاملا معه انطباعا طيبا، فكل الشكر والعرفان لكل من قابله، وترك في نفسه انطباعا رائعا، فقد كنتم سفراء في بلدكم، وحملتم «الخان» رسالة طيبة معطرة بأفضل العطور ينقل شذاها إلى العالم، دون أن يشعر بذلك.